الفصل السادس

جوش إيمونيم

«إن جذور حركة جوش إيمونيم موجودة فى التفسير الميتافيزيائى لما ورد فى الكتب المقدسة، وفى أفكار بداية الخلاص التى ترعرعت فى الصهيونية المتدينة، ووصلت ذروتها فى حرب الأيام الستة»(١).

١ ـ القِلّة التى تصنع التاريخ

لم يكن وقع مفاجأة حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بنتائجهما الصادمة على الجانب الإسرائيلى، بأقل منه على الجانب العربى، وإن تباينت المشاعر واختلفت المردودات، فكما دفعت الهزيمة ثم الانتصار النسبى المحبوس ـ على الجبهة العربية ـ القوى الأصولية لبدء انبعاثة جديدة تحت شعار أن ما حدث هو نتاج لتخلينا عن الله فتخلى الله عنا، رأت الأصولية اليهودية فى الانتصار الساحق لجيش «الدفاع» الإسرائيلى عام ١٩٦٧ ثم الهزيمة النسبية، عام ١٩٧٣ تحقيقاً للوعود التوراتية المزعومة، وبدء مرحلة جديدة تتجسد فيها الأفكار التوراتية التى كانت هاجعة فى الخلفية اليهودية: «لقد بدأ الميل الأصولى يبرز مُجدداً فى حياة اليهود (القومية) فى أواسط السبعينيات، فبعد فترة هجوع دامت أكثر من ثمانية عشر قرناً، انتفض ذلك المزيج من التوقعات المسيحانية، والعمل السياسى النضالى، والانغلاق الفكرى الشديد، والولاء المتفانى لأرض إسرائيل، الذى ميَّزَ فيما مضى تلك الفرقة من غلاة اليهود أيام الرومان، فألهب مُخَيِّلةَ الألوف من الشباب الإسرائيلى، من الصهيونيين العلمانيين خائبى الرجاء»(٢).

(١) دانى روبنشتاين، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦.

(٢) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ٦.

وعبر حركة جدل عنيفة بين الواقع والمثال، الفكرة وتجسيدها، انبثق تنظيم أصولى شديد العدوانية والتطرف، هو «جوش إيمونيم» الذى حمل شعار **«أرض إسرائيل، لشعب إسرائيل، بحسب توراة إسرائيل»**[١]، ورفع تنظيم «جوش إيمونيم» راية العمل «الطليعى» أو «الريادى»، التى كانت محمولة بأيدى دعاة حركة «الكيبوتسات» (اليسارية) فى الخمسينيات والستينيات، قبل أن يصيبها العطب، ومن خلال «حلف عضوى» أو علاقة «تكافل حيوى» أقامها التنظيم مع تكتل «الليكود»، عصب الحركة اليمينية الصهيونية، استطاع الفكر الأصولى الزاحف، أن يوفر «نظاماً متماسكاً من الرموز الملهمة فى تصرف ساسة «الليكود» الصاعدين، أمثال «آريئيل شارون»، ومكنهم من إحاطة طموحاتهم بهالة من الأصالة اليهودية، والمثالية الصهيونية»[٢]. وفى المقابل استفادت حركة «جوش إيمونيم»، أيَّما استفادة، من دعم حكومة «الليكود» المطلق، مادياً ومعنوياً، لحركتها السياسية والاستيطانية، حتى أصبحت قوة يُعمل لها حساب كبير فى الواقع السياسى الإسرائيلى، الأمر الذى اعتبرت معه: «أنجح حركة غير برلمانية ظهرت فى إسرائيل منذ تأسيس الدولة سنة ١٩٤٨»[٣].

حددت حركة «جوش إيمونيم» برنامجها فى العمل من أجل تحقيق هدف مركزى رئيسى: هو بسط السيادة اليهودية على «أرض إسرائيل الكاملة»، وإحلال نظرتها الجذرية الرؤيوية (نظرة تنبؤية لما تنطوى عليه من أهوال يوم الحشر) إلى مصير اليهود، محل الصهيونية البرجماتية، التى جعلها مؤسسو إسرائيل «الرأى البديهى المشترك» فى المجتمع الذى أوجدوه[٤]، وارتكزت فى سعيها إلى تحقيق غاياتها السياسية/ الدينية، على قاعدة استيطانية كبيرة

(١) المصدر نفسه، ص: ١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٧.

ضَمَّتْ عشرات المستوطنات، أُقيمت فى الأراضى العربية المحتلة بالضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان، حَوَّلتها من مجمعات سكنية إلى قلاع حربية، أو ترسانات عسكرية، كُدِّسَتْ فيها الأسلحة والذخيرة القتالية من كل نوع.

لكن وجه الخطورة فى حركة «جوش إيمونيم» لا يتوقف على ما سلف وحسب، وإنما - وهذا هو المهم - يعتمد على سريان منهجها وأيديولوچيتها فى أوساط إسرائيلية واسعة، حتى ممن هم خارج الجماعة، واعتمادها كأيديولوچية مُعترف بها، يتبناها قطاع متزايد من شباب المؤسسات التعليمية الدينية المعروفة باسم «بنى عكيفا»، و«الهسدر»، أو مُجَمَّعات المعاهد الميدانية، شبه العسكرية، التى يقضى بها طلاب «اليشيفوت»، المدارس الدينية، فترة خدمتهم العسكرية، والمدارس الدينية التقليدية أيضاً، ويضاف إلى ذلك انتماء «قطاع مهم من أبناء الطبقة الوسطى الإسرائيلية، من ذوى الالتزام السياسى الشديد بالصيغة التوسعية للصهيونية العمالية، أو الصهيونية التصحيحية»[1]، وهذه الأيديولوچية، التى على الرغم من كونها «غير حزبية بصورة رسمية»، تحظى «بتأييد فاعل» من قِبل وزراء بارزين فى الحكومة، فهناك ستة من أعضاء الكنيست هم من القادة الأساسيين للحركة، كما أن تحالفاً برلمانياً أنشئ عام ١٩٨٥، ضم خمسين وزيراً وعضواً، من خمسة أحزاب سياسية إسرائيلية، (٣٢٪ من مجموع أعضاء الكنيست)، ظهر كـ «لوبى»[2]، يمارس الضغوط بهدف تحقيق برنامج حركة «جوش إيمونيم» الاستيطانية، ومما له دلالة فى هذا السياق نتائج استطلاع للرأى أجرى فى ربيع عام ١٩٨٧، بناء على طلب من مجلة «حداشوت» الإسرائيلية الأسبوعية، لاختيار «شخصية الجيل»، (رجلاً أو امرأة)، التى خلقت أبعد الأثر فى المجتمع الإسرائيلى خلال الأعوام العشرين السابقة. وقد تقاسم صدارة الشخصيات المختارة كل من «مناحيم بيجن» الإرهابى الصهيونى

(١) المصدر نفسه، ص: ١٦.

(٢) المصدر نفسه.

العتيد، والحاخام «موشيه ليفنجر»، مُرشد «جوش إيمونيم» الأيديولوچى العام، ومؤسس أول مستعمرة يهودية فى الخليل عام ١٩٦٨[١].

فى تفسير «بوعز أبلباوم» أحد مستشارى «شمعون بيريز» لسبب اختياره، ذكر: «جاء رؤساء الحكومات وذهبوا، أما «ليفنجر» فلا يزال فى الذروة، وكل واحد منا قد كيّف نفسه بأبعاده ومقاييسه»[٢] لقد اعتبر المحللون هذا الاختيار رمزاً للتغيير الذى طرأ على إسرائيل ودفعها باتجاه (اليمين) والتطرف والأصولية منذ سنة ١٩٦٧، وقد جاء تأكيداً على أن «الأصولية اليهودية»، كما يرى البروفيسور «أيهود سبرنيتساك»، «أشد القوى الاجتماعية والثقافية حيوية فى إسرائيل اليوم»[٣]. فتأثيرها لم يتوقف فقط على النظام السياسى الإسرائيلى، على أهميته، وإنما تعداه لكى يحدث «تأثيراً جوهرياً فى نسيج المجتمع الإسرائيلى، بطرائق تتخطى ساحة السوق السياسية، وتتعلق بقلب المجتمع الإسرائيلى»[٤].

فلم تعد دعاوى «جوش إيمونيم»، النزّاعة للصدام والعنف والإرهاب والتطرف، مرفوضة من قطاعات واسعة فى المجتمع الإسرائيلى، وأفكارها الأصولية التى كانت تثير الرفض والاشمئزاز فى العقود السابقة، أصبحت محط إعجاب وإيمان عدد كبير من الإسرائيليين، والبرامج «المنغلقة»، (مثل العمل على تدمير المقدسات الإسلامية، وبناء الهيكل قبل ظهور المسيح) لم تعد برامج «مجنونة» يتبناها نفر من المارقين، وإنما أضحى نحو ٣٠٪ إلى

(١) المصدر نفسه، ص: ١٩.

(2) THOMAS L. FREDIMAN, History's Favorite Israelis, New York Times,U.S.A, june 11, 1987, p. 44.

(3) EHUD SPRINZAK, GUSH EMUNIM: The politics of Zionist Fundamentalism in Israel - EHUD: Jewish Committee, New York, 1986.

(4) DAVID SCHNALL, An Impact Assessment.

مذكورة فى: إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٠.

٥٠٪ من يهود إسرائيل يتبنونها، بل إن استفتاءا أُجرى فى أبريل ١٩٨٧، أشار عبره ما بين ٤٥٪ إلى ٥٠٪ من الإسرائيليين إلى تأييدهم لمطالب «جوش إيمونيم» بأن تظل الضفة الغربية وقطاع غزة «فى ظل الحكم الإسرائيلى الدائم وغير المشروط»[١]، وقد بررت هذه البيانات استنتاج «إيان لوستك» المنطقى: «إن الصورة التى تبرز من المعطيات الاستطلاعية والبحوث الجارية على تأثير الحركة الأصولية، تُشير إلى أن «جوش إيمونيم» سوف تظل بلا أدنى شك لاعبة أساسية فى الصراع الكبير الدائر حالياً لتحديد شكل المجتمع الإسرائيلى وغاياته، وهو صراع فرضته وحددت معالمه نشاطات الأصوليين الاستيطانية فى الضفة الغربية وقطاع غزة»[٢]، ومن هنا يرى «إيان لوستك» أن أهم النتائج التى نجمت عن تأثير «جوش إيمونيم»، وأشيعها ذكراً، هى إقامة مستعمرات يهودية فى مناطق حسّاسة كثيفة السكان فى الضفة الغربية، مستعمرات تُكذِّب، إن لم نقل تنفى، الاستعداد الإسرائيلى لمبادلة الأرض بالسلام»[٣].

لكن غايات الجماعة لم تتوقف عند هذا الحد، كان الموقف من الأراضى العربية المحتلة، وحشد الأنصار والمتعاطفين من أجل الضغط على الدولة لإتمام عمليات ضمها الفعلى إلى إسرائيل، باعتبارها جزءاً عضوياً من كيان «أرض إسرائيل الكاملة»، هو المدخل فقط إلى ولوج باب خطة واسعة النطاق، واستراتيجية تسعى إلى هز تركيبة النظام من الأعماق، وإنجاز تطور جذرى يستهدف تغيير «الأسس الثقافية والأيديولوچية التى يقوم عليها المجتمع»[٤].

لقد أصبحت «جوش إيمونيوم»، بمنطلقاتها العنصرية، وأيديولوچيتها الفاشية، فى غضون سنوات قليلة، وبحق: «القلة التى تصنع التاريخ»[٥] الإرهابى الجديد، فى المنطقة.

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٠.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٢.
(٥) المصدر نفسه.

٢ ـ حيث «يحقق الجنون انتصاره العظيم»

«إنها حركة غير ديمقراطية المسعى وفاشية الأصل»[١].. هذا الوصف الذى أطلقه «يوسى ميلمان» على حركة الحاخام العنصرى «مائير كاهانا»، حركة «كاخ»، يصلح لاستخدامه فى وصف حركة «جوش إيمونيم»، بل هو ينطبق كل الانطباق، بالفعل عليها.

ويتفق «دافيد جروسمان» مع هذا الرأى، بل ويزيد عليه إشارة ذات دلالة إلى مناهج التربية التى تتبعها «جوش إيمونيم»، لخلق أجيال جديدة متأثرة بأفكارها. يقول «جروسمان»: «إن تربية آلاف الصبيان وتنشئتهم فى مستعمرات «جوش إيمونيم» تكفلان بروز الكثير من المجموعات الإرهابية السرية اليهودية فى المستقبل[٢]، وهو الأمر الذى حدث بالفعل، وترتبت عليه نتائج بالغة الخطورة فيما بعد (اغتيال «إسحق رابين» رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، على سبيل المثال).

ويزيد من خطورة هذه الظاهرة، ما يلاحظه المراقبون من ارتفاع نسبة المواليد ارتفاعاً كبيراً فى أوساط عناصر الحركة الأصولية اليهودية، ككل حركة أصولية، وهو ما يعنى ارتفاعاً متزايداً موازياً، لاحتمالات نمو ظواهر الإرهاب والنزوع العنصرى الفاشى فيما بين الشباب حديثى السن داخل الدولة الصهيونية.

وما يهمنا، هنا بالأساس، هو التركيز على انعكاسات بروز هذه الظاهرة تجاه صراعنا المصيرى فى مواجهة الغزوة الصهيونية المكثفة التى تستهدفنا. فلاشك أن جيلاً صهيونياً ـ أصولياً جديداً، سيكون ـ فى العقود القادمة ـ فى مواقع المسئولية ومراكز صنع القرار، مُعَبَّئاً بالأفكار الفاشية والرؤى الأسطورية العنصرية، مُدججاً بالسلاح والكراهية، سيمثل بؤرة شديدة

(١) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص: ١٨٦.

(2) DAVID GROSSMAN, Don't Have So Much Mercy On Them, Koteret Rasheit, Israel, No. 230, April 29, 1987, P. 26.

العدوانية، عنيفة، لا تقبل الحلول الوسط، ولا تؤمن بتقديم أدنى (تنازل)، ولو كان شكلياً. هذا الجيل هو الذى سيتوجب علينا التعامل معه، والتفاعل فى مواجهة أيديولوچيته، ومواجهة نتائج خطواته العملية فى أرض الواقع، وفى إطار رؤيته لنا، وفهمه لتاريخه وتراثه وأساطيره الميثولوچية والدينية أيضاً.

ويؤمن هذا الجيل بالأفكار التى يبثها فى أعماق عقله ووجدانه، نفر من دهاقنة الحاخامات العنصريين، الأصوليين، الذين يمارسون عمليات «غسيل مخ» مكثفة، تستهدف خلق العناصر المناسبة لتنفيذ عمليات الإبادة الجماعية للعرب والفلسطينيين، وأساساً للعرب الفلسطينيين فى الأراضى العربية المحتلة، وفلسطين فى قلبها، وجوهر هذه الأفكار تصدر عن «مماهاة العرب الفلسطينيين، أو العرب إجمالاً بالعمالقة»[1]، أو «العماليق»، الذين كانوا محل تحامل الرواية التوراتية، بعد أن اتهمتهم، فى القرون الغابرة، بمهاجمة الإسرائيليين خلال فترة «التيه»، لذلك، أمر الله، (على ما تقول التوراة)، (الشعب) اليهودى، بأن «يمحو ذكر عماليق» من على وجه البسيطة، وقد عَدَّ اليهود ـ على مر التاريخ ـ كل أعدائهم الكبار من نسل الـ «عماليق»، وتنظر حركة «جوش إيمونيم» إلى العرب من هذا المنظور، فتعتبرهم من سلالة «العمالقة» الذين يتوجب محو ذكرهم من الوجود وهناك عشرات المقالات والكتب التى تشرح وتفسر هذه الأفكار الفاشية العدوانية، وتبرر ـ انطلاقاً منها ـ المواقف العنصرية المعادية ـ راديكالياً ـ للعرب، ولعل «حاييم تسوريا» كان الأبرز، فى هذا المجال، حينما عَبَّر ـ بدقّة وتركيز ـ عن أصول هذه الرؤية ومضمونها: «ثمة فى كل جيل «عمالقة»، أما عمالقتنا فهم العرب الذين يعارضون انبعاث وجودنا القومى، فى أرض أسلافنا»[2].. «إن محاربة العرب ـ يقول الحاخام «ش. يسرائيلى» ـ مثلها مثل الحرب المقدسة التى وصفها الحاخام «موسى بن ميمون» بأنها يجب أن تُشن ضد ثلاثة:

(١) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه.

«العماليق»، والشعوب السبعة، ولمساعدة إسرائيل ضد أى جيش أجنبى يعتدى عليها»[1]، أما الحاخام «ليفنجر»، المرشد الروحى لـ «جوش إيمونيم»، فحينما سُئل: «ماذا تقترح عمله إزاء العربى الذى يرفض أن يكون مواطناً خنوعاً، بل يريد لنفسه دولة يعيش بها سيد نفسه؟.» أجاب: إن العربى (أى الفلسطينى) سيجد مكاناً بالطبع فى إحدى الدول العربية التى يتمتع فيها العرب بالسيادة»[2]، وهو إعلان صريح بتبنى فكرة «الترانسفير»، والتى تعتمد على طرد «كافة» العرب (الفلسطينيين) من وطنهم، وتوطينهم إكراهاً فى البلدان العربية المحيطة.

أما الحاخام «فايزر»، فقد رد على سؤال جندى له حول «طهارة السلاح إبان الحرب»: «إن الأمر يختلف إذا كان الأمر يتعلق بمعاملة أجنبى (أى عربى).. الذى يجب قتله، ولو شَكَّلَ ذلك مخالفة للقوانين العسكرية»[3]، وتُصِّرُ أدبيات الحركة ونشراتها على أنه «لا ثقة بالعرب حتى بعد موتهم بمائة عام»[4]، وعلى أن «العربى الجيد هو العربى الميت»[5].. وهلمَّ جرا.

رؤية مشتركة:

والحق أن هذه الرؤية «الأصولية» للعرب، وكيفية «التعامل» معهم، ليست حكراً على الاتجاه الموصوم بالتطرف فى الحركة الدينية اليهودية، بل هى - إلى حد كبير - سمة عامة تنتشر منهجيتها لدى أغلب الدعاة المتزمتين فى الحركة الدينية/ الصهيونية، الرسمية منها وغير الرسمية، وفى أحسن الأحوال، فإن أولئك الذين يُكَرهُون على الاعتراف بـ «دين إسماعيل» باعتباره عبادة «ليست غريبة»، بحيث يمكن لمعتنقيها البقاء فى «أرض إسرائيل» حسبما تنص مفاهيم الشريعة، «الهالاخاه»، يضعون شروطاً مُذِّلةً ينبغى على أتباع هذا الدين «أى المسلمين»، الالتزام بها، **أولها**: أن يعترفوا بالسيادة

(١) دانى روبنشتاين، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٧.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٧٧.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٠.
(٥) المصدر نفسه.

المطلقة لإسرائيل، وأن يُسَلِّمُوا بحكم شعب إسرائيل وأن يُخلصوا لدولته **وثانيها**: أن «لا يرفعوا رؤوسهم فى إسرائيل»، تطبيقاً لإرشادات «موسى ميمون»[١] الكليّة الاعتبار، كمرجعية أساسية لدى أشياعه من الحاخامات، ومع هذا فلأن العرب «الإسماعيليين» لا يوافقون على سيادة إسرائيل، وينكرونها، فلقد حق عليهم ألا «يتمتعوا» بهذه الميزة، ووجب طردهم، أو استباحة دمهم، تطبيقاً لوصية «الحاخام الرئيسى للجيش الإسرائيلى» (الرسمى)، «شلومو جورين» الذى طالب جنوده بألا يرحموا (القتلة)، رجالاً ونساءا وأطفالاً»... و«القتلة» كانوا مُخَيَّماً للاجئين الفلسطينيين المسالمين، «المروَّعين بنتائج حرب ١٩٦٧، فى المنطقة التى كانت تحت السيطرة الأردنية قبل الحرب»، على نحو ما يصف «دانى روبنشتاين»، فى كتابه[٢]، وهو الذى يؤكد فيه أيضاً، بشكل قاطع أن «جميع المشاريع الاستيطانية التى أُقيمت فى الضفة الغربية، من قبل حركة «جوش إيمونيم»، تحصل على المال من مصدر واحد: هو حكومة إسرائيل[٣].

إن هذه الرؤية المريضة، التى تشبه هلوسات مختل عقلياً، مُشَبّع بفكرة إجرامية تتملكه تَمَلُّكاً، وتأخذ عليه جماع نفسه، تفسر لنا خلفيات مقولة البروفيسور «دافيد بلوسر»: «من الواضح الآن أن اليهود المتدينين مصابون - أكثر من غيرهم - بعدوى حملتها إليهم جرثومة الوطنية المؤمنة بظهور المسيح... فهناك فى أوساط المتدينين، يحقق الجنون انتصاره العظيم»[٤].

٣ - «جوش إيمونيم»: من الجنون إلى الإبداع

أُسست حركة «جوش إيمونيم»، على ماهو ثابت، عقابيل الزلزال الذى هز إسرائيل من جرّاء نتائج حرب أكتوبر، «يوم كيبور»، عام ١٩٧٣، غير المتوقعة، والتى جاءت متناقضة مع الروح السائدة والمنتشية بنصر يونيو ١٩٦٧ الساحق. إنها حركة «انبثقت من حال الإحساس بفقدان الاتجاه، التى أعقبت حرب

(١) المصدر نفسه، ص:٤٧.
(٢) المصدر نفسه، ص:٩.
(٣) المصدر نفسه، ص:٤٥.
(٤) المصدر نفسه، ص:٨١.

١٩٧٣: لقد حدث ضياع للروح المعنوية داخل المجتمع الإسرائيلى، وقد مهّد ذلك السبيل أمام انبثاق الحركة الأكثر تطرفاً»[١]، واستهدفت ـ على نحو ما أشار عضوها المؤسس «حنّان بورات» ـ «السير قدماً بصهيونية الخلاص»[٢].

فعلى عكس التيار التقليدى للحركة الدينية اليهودية، والذى آمن بأن بناء «الهيكل» مهمة موكولة إلى «الرب فى سماه»، فَسَّرَ دعاة «جوش إيمونيم»، وأترابهم من غلاة المتطرفين اليهود، نتائج ١٩٦٧ تفسيراً مغايراً بصورة قاطعة، واعتبروا أن الخيانة بعينها هى التنازل عن أى شبر من «أرتز يسرائيل» (أرض إسرائيل!) (المحررة)، بعد ما عادت إلى حظيرتهم، ودعوا إلى فكرتهم المركزية التى تدور حول الاحتفاظ بكل «أرض إسرائيل» بأبعادها التوراتية، ونشر حركة الاستيطان اليهودى، «الطليعى»، فى ربوعها، فـ «الهتخلوت»، (الاستيطان)، من وجهة نظرها، هو السبيل العملى لتحقيق غاياتها «الأصولية» فى التعجيل بالخلاص، وإعادة بناء الهيكل، تحقيقاً لوعود الإله فى نصوصه المقدسة، وارتكزت فلسفتها على رؤية بسيطة مفادها أن «ما أن تُقام مستوطنة فلن يتم أبداً التخلى عنها»[٣]. ومن هنا بدأ سيل المد الاستيطانى للحركة انطلاقاً من مستوطنة «كيشيت»، (القوس)، التى أنشأتها فى مرتفعات الجولان، السورية المحتلة عام ١٩٧٤، ومروراً باستيطان منطقة «سبسطية»، التي مَثَّلَتْ أول «موطئ قدم للحركة فى الضفة الغربية»[٤] المحتلة.

وقد نجحت حركة «جوش إيمونيم»، بالتوافق مع باقى التوجهات الاستيطانية للدولة، وللأحزاب والقوى السياسية الدينية الإسرائيلية الأخرى، فى تحقيق إنجازات فعلية فى هذا السياق، فبحسب دراسة حديثة، أُعِدَّتْ عن «المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة»، تأكد أن عدد المستوطنين ـ فى الأراضى العربية المحتلة ـ قد ارتفع من «بضعة آلاف» فى أواسط السبعينات

(١) ديفيد نيومان، الاستيطان الصهيونى: دور جوش إيمونيم، بيروت، كمبيو نشر للدراسات والإعلام والنشر والتوزيع، طـ١، ١٩٩١، ص:٤٥.

(٢) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص:٥٤.

(٣) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص:٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ص:٤٩.

(تاريخ بدء نشاط «جوش إيمونيم»)، إلى أكثر من ربع مليون مستوطن فى أواخر عام ١٩٩١، كما وصل عدد المستوطنات الإسرائيلية في هذه الأراضى، خلال نفس العام إلى ما يزيد عن ٢١٠ مستوطنة، وبلغت نسبة الأراضى العربية التى استولت عليها إسرائيل أكثر من ٥٠ ٪ من إجمالى المساحة الكلية للأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وفى تقرير صادر عن اللجنة التابعة للمجلس الاقتصادى والاجتماعى فى «الأمم المتحدة» ما يفيد أن مساحة الأراضى التى استولت عليها إسرائيل، فى الضفة الغربية، منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٩٠، بلغت حوالى ثلاثة ملايين دونم، أو ما يعادل ٥٣,٦ ٪ من إجمالى مساحة الضفة الغربية، وحوالى ١٥٤ ألف دونم من قطاع غزة (ما يعادل ٤٢,٣ ٪ من إجمالى مساحة القطاع)، فيما تجاوزت المساحة المستولى عليها ثلثى المساحة الكلية لمرتفعات الجولان المحتلة (٦٩ ٪)، وإضافة لذلك فقد أصدرت السلطات الإسرائيلية، يوم ٦/٣٠ /١٩٩١، أمراً يقضى بـ «إغلاق» مليون دونم من أراضى الضفة المحتلة لـ «دواعٍ أمنية»[١].

وكانت «جوش إيمونيم» إحدى الكتل السبّاقة فى النشاط الاستيطانى بالأراضى العربية المحتلة، وقد تركزت مستوطناتها فى تلك المواقع التى تتهرب من غزوها الجماعات والمشاريع الاستيطانية الأخرى، إما لصعوبات الحياة فيها، أو لمخاطر التواجد وسط حشود عربية معادية، وبدا أن هدف «جوش إيمونيم» من هذا الأمر هو «محاولة سد الثغرات في المشاريع الاستيطانية الأخرى، حيث تقوم منظمة «جوش إيمونيم» بزرع المستوطنات بين القرى أو أماكن التجمع السكانى العربى فى المرتفعات»[٢].

(١) د. عمران أبو صبيح، دليل المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٩٣، ص:١٣ ـ ١٤.

ومن المهم ملاحظة أن أعداد المستوطنين، ومساحات الأراضى المنتزعة من الشعب الفلسطينى لإنشاء مستعمرات صهيونية فوقها، قد تضاعفت على امتداد العشرين سنة التى تفصل بين تاريخ إصدار هذه الإحصاءات وتاريخ الطبعة الثانية لهذا الكتاب.

(٢) عبد الرحمن أبو عرفة، الاستيطان: التطبيق العملى للصهيونية، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٨٦، ص: ١٧١.

خطط «جوش إيمونيم» الاستيطانية

طرحت «جوش إيمونيم» مجموعة من الخطط والبرامج الاستيطانية المتكاملة، منذ أن بدأت تمارس نشاطاتها في هذا المجال، بحلول منتصف السبعينيات، وأهمها: مشروع «توطين المليون يهودى» الذي قدمته «جوش إيمونيم» فى ١١ فبراير ١٩٧٦، واستهدفت من خلاله توطين مليون يهودى فى مائة موقع عبر مختلف أرجاء الضفة الغربية على مدى عشر سنوات، ووصفت «جوش إيمونيم» مشروعها هذا بأنه «مشروع لما سوف تكون عليه إسرائيل فى العقد الرابع من عمرها، فبينما كانت العقود الثلاثة الأولى فترات هجرة، واستيطان ودعم زراعى وتنمية صناعية، فسوف يشهد العقد الرابع استيطاناً للجبال»[١]، وقد استهدفت هذه الخطة تلبية الحاجة إلى السيطرة الاستراتيجية، وإحاطة المواقع التاريخية اليهودية بسياج من المستوطنين، لكن هذه الخطة «لم تلق غير اهتمام قليل من جانب الحكومة (العمالية)»[٢]، التى كانت قائمة آنذاك، لاختلاف أولياتها، على نحو ما يذكر «ديفيد نيومان»، غير أن نقطة التحول الفاصلة في مشاريع «جوش إيمونيم» الاستيطانية، كان وصول «الليكود» إلي الحكم عام ١٩٧٧، فى إطار حكومة (يمينية) حكمت إسرائيل لأول مرة في تاريخها، وقد انتُخبت حكومة «مناحم بيجن» على أساس برنامج انتخابى، وعدت الحكومة عبر بنوده بأن «تخطط وتقيم وتشجع الاستيطان الحضرى والريفى على (أرض الوطن)[٣]، وقد تلاقت أفكار الحركة، مع أفكار الحكومة اليمينية، ورمزها «آريئيل شارون»، الذى ترأس «اللجنة الوزارية للاستيطان»، بعد أن أعلن بوضوح أن «سياسة الحكومة تتمثل فى تحقيق استيطان واسع فى «يهودا» و«السامرة»، (الضفة الغربية والقطاع)»[٤]، وفى إطار تقويمه الإيجابى لأعضاء «جوش

(١) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص:٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص:٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص:٥٣.

(٤) المصدر نفسه.

إلى مونيم» الذين وصفهم بأنهم «طلائعيين كبار، وهم «ملح» هذه البلاد، وأملها الكبير»[١].

وقد قدمت «جوش إيمونيم» بعد فوز الليكود «خطة عاجلة» للاستيطان إلى الحكومة، اقترحت بموجبها بناء اثنتى عشر مستوطنة جديدة فوراً، على طول السلسلة الجبلية لـ «يهودا والسامرة» وإضفاء الشرعية على المستوطنات (المؤقتة)، القائمة وإقرار تشريع جديد بشأن وضع وملكية الأرض فى الضفة الغربية[٢]، وهو ما استجابت له الحكومة بإصدارها للقانون المطلوب فى نوفمبر عام ١٩٨١[٣].

ولتحقيق هذه الأهداف، أنشأت «جوش إيمونيم»، قسماً خاصاً للاستيطان بها، عُرف باسم «أمناه» (الميثاق)، يتألف من «أشخاص مهتمين بالأطر الاستيطانية وحدها»[٤].

كذلك قدمت الحركة (فى يونيو ١٩٨٠) خطة استيطانية تضمنت إنشاء ١٥ مستوطنة جديدة بالضفة، إضافة إلى خمس مستوطنات أخرى حول مدينة القدس، مع ثلاث مستوطنات مركزية «للسيطرة على مفارق الطرق: «نابلس ـ جنين ـ طولكرم»، إضافة إلى إقامة ثلاث مدن فى جنوب «نابلس، الظاهرية، الخليل»، وتوسيع مستوطنات عديدة مقامة، بهدف زيادة قدرتها الاستيعابية من ١١٩٥ عائلة إلى ٣٧٤٠ عائلة حتى نهاية عام ١٩٨١، ينضم إليها ٢٨٤٤٠ عائلة يتم استيعابها فى المستوطنات الجديدة فى نفس الفترة، لتحقيق هدف أبعد هو توطين من ٧٥٠ ألفاً إلى مليون مستوطن فى الضفة الغربية[٥]، ومن أجل تحقيق «الأهداف الأمنية» المتمثلة فى:

(١) عبد الرحمن أبو عرفة، مصدر سبق ذكره، ص: ١٧١.

(٢) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص:٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٨ ـ ٥٩.

(٥) عبد الرحمن أبو عرفة، مصدر سبق ذكره،ص:١٧٢.

١ ـ المحافظة على عمق «البلاد» من نهر الأردن وحتى الساحل الشمالى.

٢ ـ السيطرة على سلسلة الجبال فى الضفة الغربية.

٣ ـ السيطرة والإشراف على وادى الأردن.

٤ ـ إنشاء شبكة كبيرة من الطرق، تسمح بالحركة العسكرية السريعة، ولتنفيذ هذه الأهداف تدعو الخطة إلى «نسف» الكتل السكّانية العربية[١].

لقد حققت «جوش إيمونيم» نجاحاً ملحوظاً فى مساعيها الاستيطانية ونجحت فى أن تكتسب «الاعتراف» بها، فى ظاهرة نادرة لجماعة بدون تمثيل برلمانى أصبحت تؤثر فى سياسات الحكومة والهيئات العامة[٢]، ومع حلول منتصف الثمانينيات دخلت حركة «جوش إيمونيم» طور الانحلال، ومرت بمرحلة من الانشقاقات والصراعات أثرت فى حيويتها، وتبعثرت قيادتها على عدة جماعات وأحزاب سياسية، ولم يبق يعمل بفاعلية من بين مؤسساتها، (وربما هذا أيضاً له دلالة) سوى هيئة الاستيطان بها (حركة أمناه)، وانتقل لواء التعصب الاستيطانى نقلة أكثر فعالية وأشد خطراً إلى الدولة نفسها، حيث تبنته رسمياً، كسياسة معترف بها، بمؤسساتها وأشخاصها، ففى البداية «تنافس وزراء حكومة الليكود مع بعضهم البعض لصالح المستوطنين والاستيطان بوجه عام»[٣]، ثم بعد ذلك تنافس «التجمع»، العمالى، مع الليكود على هذا المضمار أيضاً.

مصادرات «السلام»

بل وحتى حينما تم توقيع «اتفاق غزة ـ أريحا»، وانضم الطرف الفلسطينى إلى مسيرة (السلام) الأمريكية ـ الإسرائيلية، كان تمسُّك

(١) المصدر نفسه.

(٢) أليشع إنعيرات (البروفيسور)، الاستيطان الإسرائيلى: جغرافيا وسياسياً، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٩١، ص:٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص:٧٢ ـ ٧٣.

إسرائيل ببقاء نحو ١٤٠ مستوطنة فى قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة، حتى يتقرر مصيرها فى مباحثات الوضع النهائى، دليلاً على استمرارها فى سياستها المتبناه، وفى تقرير لبعثة تقصى الحقائق، التابعة لـ «منظمة العمل الدولية»، عن «الأوضاع فى قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة، كُشِّف الستار عن أن إسرائيل «أخضعت لسيطرتها، بشكل تدريجى حتى نهاية عام ١٩٩٤، نحو ٧٣٪ من مساحة الضفة والقطاع بمقتضى أوامر عسكرية، (٥٤)٪ منها أراضى دولة، (٢٠)٪ لدواعى الأمن، (١٢)٪ ممتلكات «الغائبين»، (١٢)٪ للأغراض العامة بإجمالى أراضٍ مساحتها خمسة ملايين و٥٧٣ ألف دونم فى الضفة بما فيها القدس الشرقية، و٣٦٧ ألف دونم فى قطاع غزة. كما أكد التقرير أن ١٨٦ مستوطنة إسرائيلية فى الضفة و٢٠ مستوطنة فى غزة، و١٤١ ألف مستوطن فى الضفة و١٦٠ ألفاً فى القدس ٢٠ ألفاً فى غزة «يشكلون تهديداً للسلام»[١].

وتذكر دراسة حديثة لـ «مجلة الدراسات الفلسطينية»[٢]، أن عدد المستوطنين قد بلغ (عام ١٩٩٥) مائة وعشرين ألف شخص، يضاف إليهم نحو مائة وثمانين ألفاً فى «الأجزاء المضمومة من القدس»، كما ذكرت صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية أن معدل المصادرات الصهيونية للأراضى العربية، بين توقيع اتفاق أوسلو، وتوقيع اتفاق القاهرة (فى مايو ١٩٩٤)، قد بلغ ٨٦٣٠ دونما فى الشهر الواحد[٣].

ويقول «خليل السواحرى» الكاتب الفلسطينى الذى عاد إلى «الوطن» مجدداً بعد توقيع الاتفاقية الإسرائيلية ـ الفلسطينية: «إن الوطن لم يكن هو الوطن الذى غادرته قبل أربعة وعشرين عاماً، لقد ازداد هذا الوطن ابتعاداً وازداد اغتراباً. تمزقت أشلاؤه بالمستوطنات، وأصبح شوارع أو مناطق جرداء،

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٥/٧/٣١.

(٢) مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت العدد (٢١)، شتاء، ١٩٩٥، ص:١١٤ ـ ١١٥.

(٣) جريدة هاآرتس، الإسرائيلية، ١٩٩٥/١/١٠.

أو آهلة بالسكان، تفصل بين مستوطنة وأخرى. المستوطنات تتربع على صدور الوطن فى كل مكان، وحيثما تقع العين على امتداد الطريق بين أريحا وبيسان، أو بين القدس والخليل، أو بين القدس ورام الله، أو حول القدس نفسها من كل اتجاه: **«عدنا إلى الوطن ولكن الوطن لم يعد إلينا، ولم يعد لنا»**[١].

«جوش إيمونيم»: من الجنون إلى الإبداع

لقد تلاشت «جوش إيمونيم» بعد أن أدت وظيفتها. لقد صارت بدعاويها الاستيطانية جزءاً عضوياً من النظام، وتحولت عقيدتها إلى عقيدة رسمية تتبناها الدولة بأجهزتها ومؤسساتها وأحزابها ووسائل إعلامها. لقد هيمنت منطلقات «جوش إيمونيم» على مجمل مؤسسات الدولة الحركة الصهيونية، وأصبحت نخبة الأصوليين، وأفكارهم «جزءاً من المشهد السياسى الإسرائيلى المألوف»[٢]، وقادت هذه النخبة النظام السياسى فى إسرائيل إلى مأزق تاريخى، من الصعوبة بمكان إيجاد مخرج منه: فإسرائيل لا تستطيع ابتلاع كل الأراضى المحتلة لأسباب دولية ومحلية، وهى فى الوقت ذاته أصبحت مرتبطة بحركة أخطبوط الاستيطان المسعور، الذى أطلقت سُعاره جماعة «جوش إيمونيم» وغيرها من الجماعات الاستيطانية الدينية أو الصهيونية.

لقد نجحت «جوش إيمونيم، مراراً، بالفعل، على حد قول «دورون روزنبلوم»، فى تحويل «ما هو إجرامى إلى ما هو ضرب من الجنون، وما هو جنون إلى ما هو مستغرب، والمستغرب إلى ما هو خطأ، وما هو خطأ إلى ما هو جيد، وما هو جيد إلى ما هو ممتاز، وما هو ممتاز إلى ما هو أمر واقع، والأمر الواقع إلى رأى يحوز الإجماع»[٣].

---

(١) مجموعة الوطن بين الحلم والواقع: فلسطينيون يصفون عودتهم إلى فلسطين وعودتهم منها، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٢١)، شتاء، ١٩٩٥، ص:١٢٤ ـ ١٣٣.

(٢) ايان لوستك. مصدر ذكره، ص: ١٩٧.

(3) BORON ROSENBLUM, The Temple Mount Will Be Blown Up, Koteret Rasheit, Israel, No. 131, June 5, PP.20 - 21.

القـدس

«إن القـدس هـى مـركـز العـالم، إنهـا قلب العـالم، ومـا يحـدث فيهـا هـو حـرب روحيـة سِرّية تؤثـر على مصير العالم كله».

الأب «مارسيل دويبوس»

راعى كنيسة القديس قزحيا فى القدس

obeikan.com